تابعا لأهوائهم، يفعلون ذلك بعد أن عقلوا المعنى وعرفوه، فهم يفعلون هذا عن عمد، وهم يعلمون أنهم يفعلون ذلك عن عمد لكنهم يريدون أن يتبعوا أهواءهم، ومن شأن هؤلاء المحرفين أنهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض: «قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم »؛ أي: قال بعضهم لبعض: أتحدثون المؤمنين بها فتح الله عليكم بها أعلمكم به، وأخبركم به من صفات محمد ﷺ ليحاجوكم به عند ربكم؛ لأنكم إذا ذكرتم أن محمدا ﷺ جاء :
وصفه في التوراة، وأنه يبعث ويكون رسولاً إلى كافة الناس؛ فإنهم سوف يحاجونكم به عند الله - عز وجل ، ثم يوبخ هؤلاء أقوامهم فيقولون: (أفلا تعقلون » أفلا تكونون عقلاء، فامتنعوا عن تحديث محمد وأصحابه بشيء يحاجوكم به عند الله، قال الله ـ تعالى ـ رادا عليهم: (أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون»، فهم وإن أسروا وكتموا صفة محمد ﷺ أو أعلنوها؛ فإن الله ـ تعالى ـ عالم بصنيعهم، وسيجازيهم على ما فعلوا من كتان الحق، وتحريف الكتاب، هذا هو معنى هذه الآيات، أما ما يستفاد منها من أحكام؛ فإنها تدل على فوائد كثيرة منها:

١ـ تأييس النبي ﷺ وأصحابه من إيان هؤلاء المعاندين المحرفين. ٢ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن المعاند الذي يعصي الله ـ عز وجل - عناد؛ تبعد هدايته؛ لأنه لا خير فيه؛ ويدل لهذا قوله ـ
ـ عن

سورة البقرة

٣٠١

تعالى : (ونقلب أفيدتهم وأبصرهم كما لم يؤمنوا بية أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [الأنعام: 110]؛ فالإنسان إذا رد الحق أول مرة مع
علمه به وفهمه له؛ فإنه يبعد أن الله - سبحانه وتعالى ـ يهديه؛ لأن

قلبه ـ والعياذ بالله ـ قد زاغ؛ قال الله ـ تعالى ـ: « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ [الصف: 5].

٣ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: إثبات كلام الله ـ تعالى ـ وأن الله ـ تعالى ـ تكلم، وأن كلامه

يسمع؛ لقوله ـ تعالى ـ: «يسمعون كلم الله ﷺ ، وهذا يدل على أن كلام الله بصوت مسموع يسمعه من وجه الخطاب إليه، وهذا أمر متفق عليه بين أهل السنة والجماعة، ويدل عليه القرآن والسنة؛ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ه وتدينه من جانب الطور الأيمن وقربته نجيا ؟ [مريم: ٥٢]؛ والمناداة والمناجاة لا تكونان إلا بصوت، لكن المناداة تكون بصوت عال لمن بعد، والمناجاة تكون بصوت خفي لمن كان قريبا. ٤ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: ذم تحريف الكلم عن مواضعه؛ لقوله - تعالى -: «ثم خرفونه ؟، قال أهل العلم: تحريف الكلم ينقسم إلى قسمين: أحدهما: تحريف اللفظ، والثاني: تحريف المعنى؛ فتحريف اللفظ يكون بتغيير الشكل، أو تغيير بنية الكلمة، وما أشبه ذلك؛ مثل لو قرأ قارئ قول الله ـ تعالى ـ: * وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، فقرأ: «وكلم الله موسى تكليتا»؛ لكان محرفا

أحكام من القرآن الكريم

للكلم، ولو قرأ: «الحمد لله رب العالمين»؛ لكان محرفا للكلم أيضا، لكن الفرق بين هذا والذي قبله أن تحريف قوله: (وكلم الله موسى تكليمًا * يتغير به المعنى فيكون المكلم موسى وليس الله، أما «الحمد رب العالمين، فإنه لا يتغير به المعنى، ولكنه لا يجوز ارتكابه؛ لأنه تحريف للكلم.
وأما تحريف المعنى فإنه هو الذي وقع فيه كثير من الناس؛ بحيث يصرف معنى اللفظ عن ظاهره بدون دليل؛ مثل تحريف بعضهم قول الله - تعالى -: «الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: 5]، فقال معناه: الرحمن على العرش استولى، ولكنه أبقى اللفظ كا هو؛ فهذا تحريف معنوي، وهو بلا شك محرم؛ لأنه قول على الله بلا علم؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إنها خاطبنا بالقرآن العربي؛ لنفهمه على مقتضى اللغة العربية، إذا لم ينقل المعنى إلى معنى شرعي، فإذا صرفنا المعنى إلى ما لا تقتضيه اللغة العربية كان ذلك تحريفا للكلم عن مواضعه.
هـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: شدة لوم هؤلاء الذين حرفوا ما سمعوا من كلام الله؛ حيث إنهم حرفوه بعد عقله وفهمه. 6ـ ومن فوائدها: أن تحريف الشيء بعد عقله وفهمه أشد من تحريفه إذا لم يكن قد عقله الإنسان؛ لأنه إذا لم يكن قد عقله فقد يكون معذورا لهذا التحريف؛ لأنه لم يعقله تمام العقل، فإذا كان قد عقله كان تحريفه أشد وأعظم.

سورة البقرة

١٣٠٣

ومن فوائد هذه الآيات: أن هؤلاء الذين حرفوا الكلم عن مواضعه بعد ما عقلوه إنها

حرفوه وهم يعلمون أنهم محرفون له؛ فيكون تحريفهم إصرارا على عناد، وليس إصرارا عن جهل أو تهاون، بل هو إصرار على خطأ متعمد ـ نسأل الله العافية. ومن فوائد هذه الآيات: أن هؤلاء ـ وأعني بهم بني إسرائيل الذين في عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن سلك مسلك النفاق صاروا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، ولكنهم إذا خلوا إلى قومهم صار بعضهم ينكر على بعض؛ لقوله: «وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا؛ أي: آمنا بمحمد ﷺ، لكنهم على خلاف ذلك في الباطن. ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن نبوة الرسول ﷺ كانت معلومة عند بني إسرائيل، وأنهم يعرفونها تماما، ويعدونها من الفتح الذي فتحه الله عليهم؛ لقوله: «قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم »، وهذا أمر معلوم بينه الله ـ تعالى ـ في كتابه، في قوله: « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في الثورية والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهتهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات وتحرم عليهم الخبيث ويضع عنهم إضرهم والأعلل التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف: 157]، وقد بشر به عيسى قومه، فقال: « إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من الثورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد * [الصف: 6]، صلوات الله ﷺ سلامه عليه.

أحكام من القرآن الكريم

١٠ـ ومن فوائد الآيات الكريات: بيان أن ما علمه أهل الكتاب من صفة النبي ﷺ هو فتح من الله، فتح الله به عليهم، وقد بين الله ـ عز وجل ـ أنهم كانوا يستفتحون على الذين كفروا قبل بعث الرسول ﷺ أي: أنهم يستنصرون بمحمد ﷺ على الكافرين؛ لأنهم يعلمون فيا علموه من التوراة أنه ﷺ منصور، وستكون له العاقبة، ولكنهم - والعياذ بالله ـ لما بان الحق واتضح، وبعث النبي ﷺ صدهم الحسد عن الإيمان به ﷺ

١١ـ ومن فوائد هذه الآيات: أن أهل الكتاب يؤمنون بالبعث؛ لقوله: «ليحاجوكم به، عند ربكم »، وقد اتفقت الرسالات السماوية كلها على إثبات البعث، وأن الناس سوف يبعثون ويجازون على أعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. ١٢ـ ومن فوائد الآيات الكريات: أن الخصومة ستقع بين يدي الله عز وجل ـ من المؤمنين والكافرين، يخاصم بعضهم بعضا، فيفصل الله بينهم، ويقضي بينهم بحكمه؛ ويدل لهذا أيضا قوله ـ تعالى ـ: * إنك ميت وإنهم ميتوني ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون * * [الزمر: 30، 31]، وقوله ـ تعالى ـ: « إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ [المائدة: 48]، وغير ذلك من الآيات الكريمات الدالة على أن أولياء الله ﷺ أولياء الشيطان يختصمون عند الله ـ عز وجل ؛ فيقضي بينهم

بحكمه وعدله ـ جل وعلا .

سـورة البقـرة

١٣٠.

١٣ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن ما ذهـب إلـيه هـؤلاء ـ الذين يقولون عند المؤمنين: آمنـا، وإذا خـلا بعـضهم إلى بعـض أنكـر بعضهم على بعض ـ مخالف للعقل؛ لقولـه ـ تعالى ـ: «أفلا تعقلون»؛ فإن مقتضى العقل أن الإنسان إذا آمن عن اقتناع آمن به ظاهرا وباطنا في حضور الخصم وحضور الولي، أما هؤلاء فكانوا مذبذبين يؤمنـون عند المؤمنين، لكنهم إذا رجـع بعـضهم إلى بعـض وخـلا بعـضهم إلى بعض أنكروا ما حدث.
١٤ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: إثبات عموم علم الله ـ عـز وجل -، وأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون؛ أي: ما يسرونه مـن مخالفـة الحق وكتانه، وما يعلنونه عند المؤمنين بقولهم: إنهـم آمنـوا، وإن صـفة النبي ﷺ موجودة عندهم في التوراة.

١٥ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: تهديد المـرء وتحذيره عـن مخالفة أمر الله ـ عز وجل ـ والـوقـوع فـيا يـغـضبه، سـواء أكـان سرا أم علنـا؛ لقولـه ـ تعـالى -: «أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون»؛ فإن المراد بذلك تهديد هؤلاء وأمثالهم ممن يظنـون أن الله لا يعلم إلا ما كان علنا.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « ومنهم أميون لا يعلمون الكتب إلا أماني وإن هم إلا يظنون .

أحكام من القرآن الكريم

يبين الله في هذه الآية الكريمة أن من بني إسرائيل قوما أميين لا يعلمون الكتاب إلا أماني؛ أي: إلا قراءة؛ فهم يقرءون التوراة، ولكنهم لا يفهمون معناها؛ ولهذا وصفهم الله ـ تعالى ـ بالأمية؛ والأمي هو الذي لا يعرف أن يقرأ أو يكتب؛ نسبة إلى الأم؛ لأن الإنسان إذا خرج من بطن أمه؛ فإنه لا يعلم شيئا؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: * والله أخرجكم من بطون أمهنتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصر والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ [النحل: 78]، فمن بني إسرائيل قوم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني، إلا قراءة، وإن هم إلا يظنون»؛ أي: ما هم إلا يظنون ظنًا.
فوائد هذه الآية الكريمة:

1- بيان أن من بني إسرائيل من لا يفهم المعنى، ولكنه يقتصر على اللفظ.

٢-ومن فوائدها: ذم من لا يفهم معنى كتاب الله؛ لقوله: «أميون لا يعلمون الكتب إلا أماني .
3- ومن فوائدها: الحث على تعلم معاني كتاب الله ـ عز وجل ؛ فقد كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الذين يقرءون القرآن لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل؛ فتعلموا القرآن، والعلم، والعمل جميعا.
4- ومن فوائدها: الحث على فهم كتاب الله، وأنه ينبغي للإنسان أن

سورة البقرة

٣٠٧

يتعلم معاني الكتاب كما يتعلم لفظه، وأن من المؤسف أن واقع أكثر المسلمين - اليوم ـ على غير هذا المنهج؛ أي: أنهم يقرءون القرآن للتعبد بلفظه فقط، دون أن يفهموا معناه، أو أن يطبقوا أحكامه، وهذا ـ بلا شك ـ قصور عظيم؛ ولذلك ظهر أثر هذا على المسلمين؛ حيث تخلفوا كثيرا عما كان عليه السلف الصالح من تطبيق القرآن لفظا ومعنى وعملا؛ ففاتهم بذلك خير كثير.

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من لا يعلم الكتاب إلا لفظا يقع في الوهم، والظن، والتخبط بما لا يعرف؛ لقوله : (وإن هم إلا يظنون؛ وعلى هذا فينبغي للمسلم أن يكون حريصا على فهم كتاب الله ـ عز وجل -، يتلقى تفسيره من كتب التفسير المعتمدة الموثوق بها، أو من أفواه العلماء المخلصين الذين يوثق بعلمهم.

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: «فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به، ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون .
ففي هذه الآية الكريمة توعد الله - سبحانه وتعالى ـ هؤلاء الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، وفي قوله: «بأيديهم» تأكيد لهذه الكتابة أنها من عند أنفسهم، ثم يقولون للناس: هذا من عند الله، يفعلون ذلك لغرض من الدنيا؛ ليشتروا به ثمنا قليلا.

A

ثم بين الله - سبحانه وتعالى ـ أن هذا الوعيد حاصل على أمرين: الأمر الأول: ما كتبوه، والأمر الثاني: ما كسبوه من هذه الكتابة؛ فإن هؤلاء يكتبون الكتاب ليس من عند الله - عز وجل ، ولكنه من عند أنفسهم؛ من أجل أن ينالوا جاها، أو مالا، أو رئاسة، أو غير ذلك من متاع الدنيا، وهو قليل بالنسبة لمتاع الآخرة؛ فيأثمون على الأمرين: على الكتابة التي يضل بها الناس، وعلى ما كسبوه.

فوائد هذه الآية الكريمة:
1ـ تحريم أن يقول الإنسان القول من عند نفسه، أو أن يكتبه من عند نفسه، ثم يقول للناس: إن هذا من عند الله؛ من أجل أن يشتري به ثمنا قليلا، ووجه التحريم الوعيد الذي رتب على هذا الفعل؛ لأن التحريم يستفاد إما من لفظ التحريم؛ مثل: « حرمت عليكم الميتة * [المائدة: 3]، وإما من النهي، وإما من ترتيب العقاب عليه، وإما من
الوعيد عليه، وللعلم بالتحريم طرق معروفة في أصول الفقه. ٢ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من أسلوب القرآن الكريم تأكيد الشيء با هو معلوم؛ لقوله: «يكتبون الكتب بأيديهم ، ومن المعلوم أن الكتابة تكون باليد، لكن هذا من باب تأكيد هذه الكتابة، وأنها ليست من عند الله، بل هي بأيديهم.
٣ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان أن هؤلاء هم الذين كتبوا هذا الكتاب بأيديهم، وقالوا: إنه من عند الله؛ من أجل أن يشتروا به

ثمنا قليلاً؛ وهو كل ما يكون من متعة الدنيا. ٤ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن ما يحصل من الدنيا مهما بلغ فإنه قليل بالنسبة إلى الآخرة؛ ولهذا جاء في الحديث: «إنّ موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها...»(1).

هـ ومن فوائدها: أن العمل إذا ترتب عليه سيئات؛ فإن الإنسان يعاقب على كل سيئة ترتبت على هذا العمل السيئ؛ لقوله ـ تعالى -: فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون»، وإذا كان العمل السيئ يترتب عليه سيئات؛ فإنه يأثم به؛ فالعمل الصالح إذا ترتب عليه حسنات؛ فإن الإنسان يثاب عليه؛ لأن رحمة الله ـ تعالى - سبقت غضبه؛ ولهذا جاء

في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء...»(٢).

ثم قال الله ـ تعالى ـ مبينا ما ادعاه هؤلاء المكذبون المفترون -: وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن

(١) رواه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، رقم (٣٠١٣) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»؛ وروى نحوه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب صفة الجنة، رقم (4330)؛ ورواه الدارمي (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).
(٢) رواه مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، رقم (١٠١٧).

أحكام من القرآن الكريم
تخلف الله عهده أن تقولون على الله ما لا تعلمون . هذه المقالة من مقالة اليهود؛ ادعوا أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة، ثم يخلفهم المسلمون فيها، وقد كذبوا فيها ادعوه في الأول وفي الثاني؛ فالنار لن تمسهم أياما معدودة فحسب؛ بل هم خالدون مخلدون فيها إذا ماتوا ولم يدخلوا في دين محمد و؛ لقول النبي و:
«والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به؛ إلا كان من أصحاب النّار» (١)؛ فهم ـ أعني اليهود ـ من أصحاب النار، مخلدون فيها إذا لم يدخلوا في دين محمد ﷺ، وثانيا: هم كاذبون في قولهم: إنكم تخلفوننا فيها؛ فإن المسلمين موعدهم الجنة، وهم أصحاب الجنة؛ فكل من مات مؤمنا بمحمد ﷺ، متبعا لشريعته؛ فإنه من أهل الجنة، وبين الله ـ عز وجل ـ أن هذه الدعوة كذب بطريق السبر والتقسيم، فقال: (أتخذتُم عند الله عهدا »، فإن كان الأمر كذلك؛ فإن الله لن يخلف عهده، «أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟، وإذا كان كذلك؛ فإن هذه دعوى مجردة عن العلم فلا تكون مقبولة.

٣١٠

فوائد هذه الآية الكريمة:
1- بيان كذب اليهود، وأنهم أهل كذب، كما أنهم أهل غد

(1) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم (١٥٣).

وخيانة، لا يوفون بعهـد، ولا يقومون بواجـب أمانـة، بـل صـفاتهم الكذب، والحسد، والخيانة، والمكر.
٢- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: حسن استدلال القرآن في مقابلة خصومه؛ حيث قال: «قل أتخذثم عند الله عهدا فلن تخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمورت ، وهذه الطريق من طرق الحجج مما يفحم الخصم، ومن نظائرها قوله ـ تعالى ـ: «أفرءيت الذي كفر باينينا وقال لأوتين مالًا وولدا - أطلع الغيب أم أتخذ عند الرحمن عهدا ت كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مذا = وترثه ما يقول ويأتينا فردا» [مريم: ٧٧- ٨٠]. 3- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله - عز وجل ـ لن يخلف عهده؛ لأنه ـ جل وعلا ـ أصدق القائلين، وأتم المعاهدين، وأقدر على تنفيذ وعده وعهده؛ لقوله ـ تعالى ـ: « إن الله لا تختلف الميعاد ﴾ [الرعد:

٣١].

١٣١١

YA

4- ومن فوائد هذه الآية: أن اليهود لا يبالون إذا قالوا على الله ما لا يعلمون؛ لنيل مآربهم وأطاعهم.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: * بلى من كسب سيئة وأحطت به، خطيئته فأولنيك أصحب النار هم فيها خلدون » .
هذه الآية ردّ لدعوى اليهود الذين قالوا: « لن تمسنا النار إلا أياما

٣١٢

أحكام من القرآن الكريم

معدودة »؛ بين الله فيها كذب هذه الدعوى، وأنها باطلة؛ لقوله: (بلى من كسب سيئة وأحطت به، خطيئته، فأولتيك أصحب النار هم فيها خلدون »؛ أي: من كسب سيئة كبرى تكون سببا لإحاطة خطيئته به حتى لا يبقى له حسنات؛ وذلك مثل سيئة الشرك والكفر، فهؤلاء هم

أصحاب النار المخلدون فيها، وليسوا المسلمين كما زعم هؤلاء اليهود،
وحينئذ يكون أحق الناس بالخلود في النار هم هؤلاء اليهود. فوائد هذه الآية الكريمة:

١- إبطال ما ادعاه هؤلاء اليهود الذين ادعوا أنهم أولياء الله، وأنه لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، ثم يخلفهم المسلمون فيها. ٢- ومن فوائدها: أن أحكام الله ـ عز وجل ـ الجزائية معلقة بأوصاف لا بأعيان؛ ولهذا قال: «من كسب سيفه وأحطت به خطيئته ، من أي أحد من الأمم فله هذا الحكم، سواء كان من العرب، أم من بني إسرائيل، أم من غيرهم. 3- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه لا يستحق الخلود في النار إلا من أحاطت به خطيئته، أما من لم تحط به خطيئته، بأن كان عنده عمل صالح وآخر سيئ؛ فإنه لا يكون من أصحاب النار المخلدين فيها، ولكنه تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عاقبه بذنبه، وقد يحول بينه وبين العقوبة شفاعة ممن يشفعون عند الله، أو غير ذلك الأسباب التي ترفع عنه العقوبة، وهذا هو مذهب أهل السنة
من

ورة البقرة

٣١٣

والجماعة، أن العصاة من المسلمين تحت مشيئة الله إن شاء الله عاقبهم على معاصيهم، وإن شاء غفر لهم؛ كما يدل على هذا قوله ـ تعالى ـ: «إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * [النساء: ٤٨]، وقوله: «ما دون ذلك»؛ أي: ما دون الشرك لمن يشاء. وهذه الآية يذهب بعض الناس إلى التعلل بها، فتجدم يعمل ما شاء من الذنوب، ويقول: إن شاء الله غفر لي، والذي لا يغفر هو الشرك، فنقول له: وهل تعلم أن الله شاء أن يغفر لك؟ ربا لا تدخل أنت تحت من شاء الله أن يغفر لهم؛ لأن الله لم يقل: «ويغفر ما دون ذلك وأطلق، بل قال: «لمن يشاء »؛ فأنت لا تعلم أنك داخل في هذه المشيئة، ولا يجوز أن تمني نفسك المحال، بل إن الحزم والعزم أن تتجنب معاصي الله ـ عز وجل ـ؛ خوفا من أن ينالك عقابه. ٤ـ ومن فوائد هذه الآية: أن أصحاب النار هم أهلها الذين يبقون فيها؛ لأن من عذب في النار بقدر ذنوبه، ثم خرج منها لا يعد من أصحابها في الواقع؛ إذ إن المصاحبة هي الملازمة؛ وعلى هذا يكون في الآية دليل على أن أصحاب النار مخلدون فيها تخليدا أبديًا؛ كما جاء ذلك في آيات أخرى؛ فقد ذكر الله تأبيد الخلود في ثلاث آيات من كتابه، فقال ـ جل وعلا ـ: « إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ت إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ [النساء: 168، 169]، وقال - تعالى -: (إن الله لعن

الكفرين

٣١٤

أحكام من القرآن الكريم

لا
وأعد لهم سعيرا في خلدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا * [الأحزاب: 64، 65]، وقال الله ـ تعالى ـ: «ومن يعص الله ورسوله، فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ [الجن: ٢٣]، فهذه آيات ثلاث فيها التصريح بأن أصحاب النار خالدون فيها أبدا، وبعد هذا التصريح لا يمكن أن نعارض لمجرد أقيسة عقلية، ونصوص عامة؛ لأن اللفظ الصريح يرفعه إلا لفظ صريح، ثم إن الظاهر أنه لا يمكن أن يقع لفظ صريح
يخالف هذا؛ لأن هذا خبر؛ وخبر الله - سبحانه وتعالى ـ لا يناقض بعضه بعضا، والأحكام الشرعية يمكن أن يدخلها النسخ، أما الأحكام الخبرية فإنها لا يمكن أن يدخلها النسخ؛ لأننا لو جوزنا نسخ أحد الخبرين بالآخر لزم منه تكذيب أحد الخبرين بالآخر، وهذا محال في كلام الله، وكلام رسوله ﷺ

**

ثم قال الله - تعالى -: (والذين ءامنوا وعملوا الصلحت أولئيك أصحب الجنة هم فيها خلدون . هذه هي طريقة القرآن: أن الله - سبحانه وتعالى ـ إذا ذكر أصحاب النار وعقوبتهم، ذكر أصحاب الجنة ومثوبتهم؛ لأن القرآن مثان تُثنى فيه الأحكام والمعاني، ولأجل أن يكون الإنسان دائرا في عبادته بين الخوف والرجاء؛ يقول ـ عز وجل -: «والذين ءامنوا وعملوا الصلحت»؛ آمنوا بالغيب الذي يجب الإيمان به، وقد بين النبي ﷺ

سورة البقرة

أركان الإيمان، حين سأله جبريل عن الإيمان قال: «... أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر كله خره وشره... (ا)

315

وأما عمل الصالحات؛ فهو القيام بالأعمال الصالحة، والعمل الصالح هو ما جمع بين وصفين: الوصف الأول: الإخلاص الله ـ تعالى بألا يريد بعمله إلا وجه الله ﷻ الدار الآخرة، لا يريد شيئا من الدنيا. والثاني: المتابعة لرسول الله و؛ بحيث يكون متأسيا به ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فإن فقد الإخلاص صار في عمل الإنسان إشراك، والله لا يقبل الشرك؛ كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه النبي ﷺ عن ربه: «إن الله قال: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه»(٢)، وإذا لم يكن متبعا فيه الرسول ﷺ كان عملا بدعيا؛ والعمل البدعي مردود؛ لقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد»(3)، وفي رواية: «من عمل عملا ليس

(١) رواه ـ عن أبي هريرة ـ البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي و عن الإيمان والإسلام...، رقم (٥٠)؛ ورواه ـ ضمن حديث طويل عن عمر ـ مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان، والإسلام، والإحسان، رقم (٨).

-

(٢) سبق تخريجه ص (٢٠).
(٣) رواه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور؛ فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)؛ ومسلم:، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم

(١٧١٨).

316|

أحكام من القرآن الكريم

عليه أمرنا؛ فهو رد»(1)؛ فالعمل الصالح هو ما جمع هذين الوصفين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ . ثم بيّن ـ عز وجل ـ جزاء هؤلاء الذين اتصفوا بهذين الوصفين: الإيمان والعمل الصالح، فقال: «أولئك أصحاب الجنة هم فيها خلدون *؛ الجنة: هي الدار التي أعدها الله للمتقين، وفيها ما لا
عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر . فوائد هذه الآية الكريمة:
١- بيان جزاء المؤمنين الذين عملوا صالحا، وهو أنهم مخلدون في

الجنة.
٢- ومن فوائدها: أنه لا يتم دخول الجنة إلا بهذين الأمرين: الإيمان والعمل؛ فالإيمان وحده لا يكفي، والعمل وحده لا يكفي؛ لابد من إيان وعمل؛ ولهذا ينبغي أن نركز في خطابنا في الوعد والدعوة إلى الله على الأمرين معا: على الإيمان الذي هو أساس العقيدة، وعلى العمل الصالح الذي به تتم هذه العقيدة. 3- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن العمل لا ينفع إلا إذا كان صالحا، وهو ما جمع بين الإخلاص والمتابعة لرسول الله ﷺ كا أسلفنا في تفسيرنا لهذه الآية.

(١) سبق تخريجه ص (٤٩).

٤ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بطلان العمل الذي فيه الشرك؛ لأن الله اشترط لتأثير العمل واستحقاق الجزاء عليه أن يكون عملا
صالحا.

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن أهل الجنة مخلدون فيها، وتخليدهم أبدي؛ كما دلت على ذلك آيات كثيرة، وأجمع عليه سلف
الأمة.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: (وإذ أخذنا ميثق بني إسرءيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمسكين وقولوا للناس خشنا وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون .
)
قوله: (وإذ أخذنا ميثق»؛ الضمير في قوله: «أخذنا » راجع إلى الله ـ عز وجل -، وجاء بهذه الصيغة تعظيما لله؛ لأنه ـ سبحانه وتعالى - يعبر عن نفسه أحيانا بصيغة الجمع، وأحيانا بصيغة الإفراد، والتعبير بصيغة الإفراد ما هو معلوم بأن الله ـ تعالى ـ واحد، والتعبير بصيغة الجمع للدلالة على العظمة؛ وذلك لأن ضمير الجمع تارة يراد به الجمع الذي هو العدد، وتارة يراد به التعظيم؛ كما في هذه الآية: «وإذ أخذنا ميثق بني إسرءيل »؛ والميثاق هو العهد، وسُمي ميثاقا؛ لأنه توثقة بين المتعاهدين، وبنو إسرائيل هم بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وهم

=

٣١٨

أحكام من القرآن الكريم

أبناء عم للعرب؛ لأن العرب من ذرية إسماعيل، وبنو إسرائيل من ذرية إسحاق؛ وإسماعيل وإسحاق أخوان، أبوهما إبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ، هذا الميثاق هو:
أولا: ألا يعبدوا إلا الله؛ لا يعبدون ملكا، ولا رسولاً، ولا حجرا،

ولا شجرا، ولا غير ذلك مما سوى الله ـ عز وجل ـ. الثاني: أن يحسنوا إلى الوالدين بالبر إليها وعدم العقوق. الثالث: أن يحسنوا إلى ذوي القربى بالصلة وعدم القطيعة. الرابع: أن يحسنوا إلى اليتامي؛ وهم الذين مات آباؤهم قبل أن يبلغوا، ويشمل الذكور والإناث من اليتامى.
د
خلقه
الخامس: الإحسان إلى المساكين؛ وهم الفقراء المعدمون، وسموا بذلك؛ لأن الفقر أسكنهم وأذلهم؛ فإن الفقر يوجب سكون الإنسان وذله ـ نسأل الله أن يغنينا بفضله عن
أما السادس: أن يقولوا للناس حسنا، وهذا يشمل المخاطبة فيا بينهم وبين الناس، ويشمل ما يدعون الناس إليه ما يكون شريعة؛ بحيث لا يقولون للناس إلا ما هو حسن، ولا يكون المدعو إليه حسنا إلا إذا كان موافقا لشريعة الله.
السابع: إقامة الصلاة؛ أي: أداؤها على الوجه الذي أمر الله به. الثامن: إيتاء الزكاة؛ أي: إعطاء ما يجب إعطاؤه من المال إلى أهله. ولكن هل هؤلاء الذين أخذ عليهم الميثاق قاموا بذلك؟
يقول الله

سورة البقرة

٣١٩

عز وجل -: «ثم توليتم إلا قليلا منكم»، والخطاب في قوله : توليتم لبني إسرائيل الموجودين في عهد الرسول ﷺ إلا قليلا منهم فإنهم قاموا بهذا العهد، وآمنوا بمحمد ؛ مثل عبدالله بن سلام، والنجاشي؛ وعبدالله بن سلام من اليهود، والنجاشي من النصارى، فهذان

وأمثالها ممن لم يتولوا، بل قاموا بالعهد والميثاق على ما عاهدوا عليه، وواثقوا عليه، ثم قال: «وأنتم معرضون »؛ أي: أنهم تولوا وهم معرضون، ليس فيهم شيء من الإقبال على ما جاء به
محمد ﷺ

فوائد وأحكام هذه الآية:
١- بيان عتو بني إسرائيل، وأنهم مع العهود والمواثيق لا يفون. ٢- ومن فوائد هذه الآية: التحذير مما وقع فيه هؤلاء من مخالفة الميثاق، وعدم الوفاء به؛ لأن الله - تعالى - إذا ذكر أخبار من سبق؛ فإنه لا يذكرها على سبيل التلهي بها والنظر المجرد، ولكنه يذكرها - عز وجل ؛ من أجل أن نعتبر بها، وأن نأخذ منها عبرة؛ كما قال الله - تعالى -: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾ [يوسف: ١١١]. 3- ومن فوائد هذه الآية: أن الدعوة للإخلاص في جميع الأمم؛ لقوله: «لا تعبدون إلا الله»؛ وهذه الدعوة جاء بها كل الرسل - عليهم الصلاة والسلام -؛ كما قال - تعالى -: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت ﴾ [النحل: 36]، وكما قال الله -

١٣٢٠

تعالى -: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥].

أحكام من القرآن الكريم

٤ - ومن فوائد هذه الآية وجوب الإحسان إلى الوالدين؛ والإحسان يكون بالقول، ويكون بالفعل؛ فالإحسان بالقول معناه أن يلين الإنسان لها قوله، وأن يكون قولا كريتا طيبا سمحا، والإحسان بالفعل يكون ببذل المال، وبخدمة البدن، وغير ذلك مما يكون إحسانا، والآية مطلقة (وبالوالدين إحسانا»، وليعلم أن أحق الوالدين بالصحبة هي الأم؛ كما قال النبي - عليه الصلاة والسلام - حين سئل: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمل»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»)، ولكن هذا لا يعني ألا نعطي الأب حقه، بل له حق وللأم حق، لكن لما كانت الأم أنثى والغالب عليها الضعف، وأنها تحتاج إلى لين أكثر صارت أحق الناس بصحبة الولد.

المال

والإحسان للوالدين بالفعل: يكون ببذل ما يحتاج إليه الوالدان من نفقة، وكسوة، وغير ذلك بقدر المستطاع، ويكون أيضا بالبدن؛ وهو القيام بخدمة الوالدين حينها يحتاجان لذلك؛ ولهذا قال

من

(1) الصحابة ـ هنا ـ بمعنى الصحبة. (٢) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن صحابتي، رقم (٥٩٧١)؛ ومسلم: كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنها أحق به، رقم (٢٥٤٨).

سورة البقـرة

٣٢١

ج
الله ـ تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسنًا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]. هـ ومـن فـوائـد هـذه الآية الكريمة: وجوب الإحسان إلى ذي القربى؛ أي: إلى أصحاب القرابة، سواء أكانوا من قبل الأم أم من قبـل الأب، والإحسان إليهم يكون كالإحسان إلى الوالدين؛ أي: بالقول وبالفعل، ولكن الإحسان إلى الوالدين أوكـد وأعظـم؛ لأنهـم أقـرب القربي إليك.

6ـ ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب الإحسان إلى اليتـامي؛ وهـم الذين مات آباؤهم قبل أن يبلغوا؛ وذلك لأن هذا اليتيم قد انكسر قلبه بفقد أبيه وراعيه، فكان من رحمة الله ـ عـز وجـل ـ وحكمتـه أن أوصى بالإحسان إليه.

ـ ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب الإحسان إلى المساكين عنـد الضرورة إلى ذلك، ومشروعيته على سبيل الاستحباب إذا لم يكن هناك ضرورة؛ وذلك لأن المساكين قد أسكنهم الفقر وأذلهم؛ فهم بحاجة إلى من يجبرهم بالإحسان إليهم؛ ولهذا وصى الله بذلك، وجعله من العهود والمواثيق على بني آدم.
هـ . ومن فوائد الآية الكريمة: وجـوب القـول الحسن في مخاطبـة

الناس، وفي دعوتهم؛ لقوله ـ تعالى -: (وقولوا للناس حسنا ، والظاهر ـ والله أعلم ـ أن القول الحسن إن كان المراد به ما هو ضد القول السيئ؛ فإن القول الحسن هنا يكون واجبا؛ أي: أنه يجب على الإنسان أن يخاطب الناس بما لا يسيء إليهم، بل با يكون فيه منفعتهم الدينية والدنيوية، ومن القول الحسن: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله؛ فإن هذا كله من القول الحسن، وضده القول
السيئ الذي يكون به الإساءة والعدوان على الناس؛ فإنه محرم. ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: وجوب إقامة الصلاة؛ أي: الإتيان بها على الوجه المشروع، إلزاما في الواجبات، وندبا في المستحبات، والصلاة معروفة؛ وهي موجودة في جميع الملل؛ كما يفيده قوله ـ تعالى ـ: « يمريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين * [آل عمران: 43]، وكما تفيد هذه الآية الكريمة من أن بني إسرائيل قد أخذ عليهم الميثاق بأن يقيموا الصلاة.

١٠ـ ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب إتيان الزكاة، وهي القدر
المفروض في المال الزكوي، يؤتى إلى أهل الزكاة لا إلى غيرهم. ١١ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان عتو بني إسرائيل، وأنهم - مع هذا العهد والميثاق على هذه الخصال الحميدة ـ لم ينقادوا، ولم يفوا؛ ولهذا قال: «ثم توليتم إلا قليلا منكم. ١٢ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان عدل الله ـ عز وجل ؛

وذلك باستثناء هؤلاء القليل ممن تولى؛ إذ لم يحكم بالتولي على جميع بني إسرائيل، وإنما حكم به على من قام به واستحقه، وهذا من كال عدل الله - عز وجل ـ
١٣ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن بني إسرائيل ـ مع توليهم ونكثهم لهذا الميثاق ـ كانوا معرضين عن الحق، غير متجهين إليه؛ فجمعوا بين الانحراف القلبي والانحراف البدني.

*

*

ثم قال الله - تعالى -: «وإذ أخذنا ميثقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من ديركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون نت ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسرى تقدوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله يغفل عما تعملون * .

ج

ج

قل

بين الله ـ تعالى ـ في هاتين الآيتين أنه ـ تعالى ـ أخذ ميثاقا آخر على بني إسرائيل؛ وهو عدم عدوان بعضهم على بعض؛ كما في قوله ـ

تعالى ـ : (وإذ أخذنا ميثقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم؛ قوله: «لا تسفكون دماءكم» يعني: لا تريقونها بالقتل، ولا تخرجون أنفسكم من ديركم، وإنما أضاف الدماء إليهم

والإخراج إلى الأنفس؛ لأن الأمة الواحدة كأنها نفس واحدة؛ فإخراج بعضهم يكون كإخراج أنفسهم هم؛ ولهذا قال: «ولا تخرجون أنفسكم»؛ أي: من كان منكم من دياركم، ثم أقررتم وأنتم تشهدون»؛ أي: أنكم مقرون بهذا الميثاق، شاهدون به، ولكن هل استمروا عليه؟ الجواب: «ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم، فلم تفوا بالميثاق، بل قتلتم أنفسكم وأخرجتم فريقا منكم من ديارهم، أخرجتموهم على وجه من العلو والاستكبار عليهم، وتظهرون عليهم بالإثم والعدوان، ومع ذلك إذا أتوكم أسارى فاديتموهم؛ يعني: لو اسرو؛ فإنكم تحرصون على أن تفادوهم مع أن إخراجهم في الأصل حرام عليكم، ففي هذا الفعل تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، «أفتؤمنون ببعض الكتب»؛ مثل إنقاذ من أسر منكم بالمفاداة (وتكفرون ببعض» ؛ مثل قتل بعضكم بعضا وإخراج بعضكم بعضا من ديارهم؛ «فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحيوة الدنيا * جزاء؛ أي: مجازاته ومكافأته على عمله، وقوله: «من يفعل ذلك منكم * احتراز من العموم؛ لأنه ليس كلهم يفعلون هذا، ولكن من يفعل هذا فهذا جزاؤه الخزي في الحياة

الدنيا وبيان عيبه، (ويوم القيامة يردون إلى أشت العذاب وما الله بغفل عما تعملون، وإنما يردون إلى أشد العذاب؛ لنكثهم العهد والميثاق الذي بينهم وبين الله ـ عز وجل ـ، ثم ختم الله

سورة البقرة

٣٢٥

الآية ببيان كال علمه ومراقبته في قوله: «وما الله يغفل عما تعملونه. فوائد وأحكام هاتين الآيتين:

١- العدول عن الكلام بصيغة الغيبة إلى الكلام بصيغة الخطاب؛ لأنه أشد وأوقع في النفس؛ ففي الآية التي سبقت هاتين الآيتين يقول الله ـ تعالى ـ: (وإذ أخذنا ميثق بني إسرءيل »، وفي هذه الآية يقول: (وإذ أخذنا ميثقكم لا تسفكون دماءكم»، فعدل عن الكلام بالغيبة إلى الكلام بالخطاب؛ لأنه أبلغ وأشد.
٢- ومن فوائد الآية الكريمة: تحريم الدماء في الأمم السابقة كما هو محرم في هذه الشريعة، وقد أعلن النبي ﷺ هذا التحريم في أكبر مجتمع اجتمع به مع أمته، وذلك في حجة الوداع؛ حيث سألهم: «أي يوم هذا؟ وأي شهر هذا؟ وأي بلد هذا؟»، «فإنّ دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم بينكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا، في شهر كم هذا، في بلدكم هذا» (١).

والدماء من أعظم العدوان حرمة وجزاء؛ قال الله ـ تعالى ـ: «ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيمًا﴾ [النساء: 93]، وأخبر النبي ﷺ بذلك؛ فقال:

(١) رواه البخاري: كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع»، رقم (67)؛ ومسلم: كتاب القسامة، باب تحريم الدماء، والأعراض، والأموال، رقم (١٦٧٩).

٣٢٦

«أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة الدماء»1) 3- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تحريم إخراج الإنسان من بلده إلا بمقتضى الشرع؛ لقوله ـ تعالى -: (ولا تخرجون أنفسكم من ديركم» .

أحكام من القرآن الكريم

٤- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: استعمال ما يوجب العطف والحنان، والرحمة في الخطاب؛ لقوله: «لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من ديركم »؛ حيث جعل دماء الغير كدماء الإنسان نفسه، وجعل إخراج الغير كإخراج الإنسان نفسه.
5- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان عتو بني إسرائيل؛ حيث إنهم أقروا بهذا الميثاق، وشهدوا به، ولكنهم لم يقوموا بتطبيقه والعمل
به.

(1)

6 - ومن فوائد هذه الآية الكريمة: التحذير من العمل بها عمل به ء من أخذ الميثاق بين العبد وبين ربه، ثم بعد ذلك ينكثه، ولا يفي
هؤلاء
به .
- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان أن هؤلاء الذين لم يطبقوا الميثاق وصاروا يقتلون أنفسهم، ويخرجون فريقا منهم من ديارهم

رواه البخاري: كتاب الرقاق، كتاب القصاص يوم القيامة، رقم (6533)؛ ومسلم: كتاب القسامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، رقم

(١٦٧٨).

سورة البقرة

= ٣٢٧

لے
يعتبرون مؤمنين ببعض الكتاب وكافرين ببعض، والإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه كفر به جميعا؛ لقوله: * فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا يخزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ؛ وأشد العذاب لا يكون إلا للكافرين؛ لقوله - تعالى -: (إن الذين

يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا - أولتيك هم الكفرون حقا ﴾ [النساء: 150، 151]؛ فبين الله أن و هؤلاء الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كافرون حقا، وهذه مسألة خطيرة عظيمة؛ لأن بعض الناس يؤمن ببعض الشريعة ويكفر ببعضها، ثم يقول: إنه مؤمن باعتبار أصل عقيدته، وهذا لا ينفعه؛ إذ لابد في الإيمان من أن يكون إيمانا شاملا لكل ما جاءت به الشريعة. ٨ ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تناقض بني إسرائيل؛ حيث إنهم يخرجون فريقا منهم من ديارهم متعالين عليهم بالإثم والعدوان، ثم إذا أتوهم أسارى فادوهم، وهذا تناقض؛ كيف يخرجونهم من ديارهم، ثم يفادونهم إذا أتوهم أسارى؟
ـ ومن فوائد الآية الكريمة الثانية: أن عمل بني إسرائيل من الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه كان سببا لهذه العقوبة العظيمة،
أنهم يخزون في هذه الدنيا، وفي يوم القيامة يردون إلى أشد العذاب. ١٠ـ ومن فوائد الآية الكريمة الثانية: بيان عدل الله ـ عز وجل ـ في

أحكام من القرآن الكريم

الاحتراز من العموم إذا لم يكن الحكم عاما؛ ولهذا قال: «فما جزاء من يفعل ذلك منكم»، ولم يقل: «فا جزاؤكم» مع أن الخطاب في الأول كان للجميع؛ حيث قال: (وإذ أخذنا ميثقكم لا تسفكون دماءكم»، وقال: «ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم »، ثم قال: «فما جزاء من يفعل ذلك منكم ، وهذا من باب الاحتراز الدال على كال عدل الله ـ عز وجل ـ حتى في التحدث عن الغير.

١١ـ ومن فوائد الآية الكريمة الثانية: أنه يجب على الإنسان مراعاة العدل فيما يخاطب به غيره؛ فلا يتكلم عن أمة في مدح أو قدح على سبيل العموم إذا لم تكن كذلك، ولا يتكلم أيضا عن أفعال الشخص المعين من قدح أو مدح على سبيل العموم إذا لم يكن كذلك؛ لأن هذا هو الحق والعدل.

.
١٢ـ ومن فوائد الآية الكريمة الثانية: إثبات يوم القيامة والجزاء فيه؛ لقوله ـ تعالى ـ: (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب؟. ١٣ـ ومن فوائدها: أن العذاب مراتب، بعضه أشد من بعض؛ لقوله: «إلى أشد العذاب؟.

١٤- ومن فوائدها: إثبات الصفات المنفية في صفات الله ـ عز وجل ـ بمعنى أن الله موصوف بالإثبات وموصوف بالنفي، في قوله ـ تعالى -: «وما الله بغفل عما تعملون»، لكن ليعلم أن الصفات المنفية عن الله - عز وجل ـ لا يراد بها مجرد النفي؛ وإنما يراد بها بيان كمال

سورة البقرة

ضدها؛ فإذا قال: «وما الله يغفل عما تعملونه كان دالا على كال
علمه، وكال مراقبته لعباده ـ عز وجل -، وأنه ليس بغافل عنهم. ١٥- ومن فوائدها: بيان كال الله ـ عز وجل ـ في عموم علمه ومراقبته؛ لقوله: «وما الله بغفل عما تعملونه؛ لأن «ما» من صغ العموم، والعموم في اسم الموصول أو غيره يدل على السعة والشمول.

**

الدنيا.
٢-

٣٢٩

**

قال الله - سبحانه وتعالى ـ: « أولتيك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا تخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) . الإشارة في قوله: «أولتيك» إلى هؤلاء الذين نكثوا العهد من بني إسرائيل، فبين الله - عز وجل ـ أن هؤلاء الذين نكثوا العهد إنا نكثوه لأغراض الدنيا وأعراضها؛ ولهذا قال: « أولتيك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة ؛ أي: أخذوا الدنيا بدلا عن الآخرة، وهؤلاء حكمهم في الآخرة أنه لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون؛ لأنهم ماتوا وهم ناكثون لعهد الله ـ عز وجل ـ.
فوائد وأحكام الآية الكريمة:
1- بيان أن من خالف امر الله ـ عز وجل ـ فإنها يخالفه لغرض من

ومن فوائدها: بيان سفه هؤلاء الذين نكثوا عهد الله؛ حيث
اختاروا الدنيا على الآخرة مع أن الآخرة خير وأبقى؛ كما قال الله ـ تعالى ـ:

أحكام من القرآن الكريم

و بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]. 3- ومن فوائدها: التحذير من اختيار الدنيا على الآخرة، ومن ذلك أن يتعامل الإنسان مع الناس بمعاملات محرمة؛ كالربا، والغش، والكذب، وغير ذلك؛ من أجل أن ينال عرضا من الدنيا؛ فإن هذا من السفه والخطأ؛ لأن الدنيا زائلة فانية، والآخرة هي الباقية، وقد حذر النبي ﷺ من هذه الفتنة في قوله : «إنها ستكون فتن؛ كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»(1).

(1)

٤- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات العذاب والجزاء، وأن من اشترى الحياة الدنيا بالآخرة لا يخفف عنه العذاب؛ لأنه اختار الدنيا على الآخرة؛ فيبقى مخلدا في النار لا يخفف عنه العذاب، وليعلم أن أصحاب النار فيها ـ والعياذ بالله ـ يقولون لمالك: « ونادوا يدميلك ليقض علينا ربك ﴾ [الزخرف: 77]، ويقولون لخزنة جهنم: « أدعوا * ربكم تخفف عنا يوما من العذاب ﴾ [غافر: ٤٩]، فأما جواب مالك لهم فيقول لهم: « قال إنكم منكثون ﴾ [الزخرف: 77]، وأما جواب خزنة النار فيقولون لهم: « أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينت قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعتوا الكفرين إلا في ضلال ﴾ [غافر: 50].

رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم (١١٨).

سورة البقرة

١٣٣١

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن أصحاب النار ـ الذين هم أهلها ـ لا تنفع فيهم الشفاعة؛ لقوله ـ تعالى ـ: «ولا هم ينصرون»، والشفاعة نوع من النصر، ولكن هؤلاء المستحقين الخلود في النار لا تنفع فيهم الشفاعة؛ كما قال الله - تعالى -: * فما تنفعهم شفعه الشفعين * [المدثر : ٤٨].

ثم قال الله ـ تعالى ـ: «ولقد ءاتينا موسى الكتب وقفينا من بعده بالرسل وءاتينا عيسى ابن مريم البينت وأيدته بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم أستكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون .
يقول الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية: إنه أعطى موسى الكتاب - وهو التوراة ـ، ويؤكد ذلك الإعطاء بالقسم المقدر، واللام، وقد، وهذا الكتاب الذي أوتي موسى لم يكن آخر كتاب نزل على بني إسرائيل، بل إن الله ـ تعالى ـ قفى من بعده بالرسل، فأرسل إلى بني إسرائيل الرسل تباعا، وختم رسل بني إسرائيل بعيسى ـ عليه الصلاة والسلام -؛ فقال الله - عز وجل -: (وءاتينا عيسى ابن مريم البينت »؛ أي: الآيات البينات، وهي
ما حصل من حمل أمه به من غير أب، و به من غير أب، ومن نطقه في المهد، ومما جاء به من إخراج الموتى من قبورهم، وإحياء الموتى قبل الدفن، وإبراء الأكمه والأبرص ـ بإذن الله ، كل هذه الآيات التي جاء

بها آيات بينات، لكن فيها آيات سبقت وجوده ـ أي: وجود عيسى ـ و آيات بعد وجوده ورسالته، ومع هذا فإن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أنه أوتي البينات قد أيده الله ـ تعالى ـ بروح القدس؛ وهو جبريل - عليه الصلاة والسلام ـ، أيد الله به عيسى؛ أي: قواه به ونصره، ثم قال مخاطبا بني إسرائيل وموبخا لهم: «أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم أستكبرتم »؛ يعني: أفتبلغون إلى هذا الحال إذا جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، وإذا جاءكم رسول با تهوى أنفسكم قبلتم، ولكن هذا الأخير قد لا تدل عليه الآية الكريمة؛ لأن جميع الرسل الذين جاءوا بالحق إلى بني إسرائيل جاءوا با لا تهوى أنفسهم ـ أي: أنفس بني إسرائيل ـ، ثم انقسم بنو إسرائيل ـ بالنسبة إلى هؤلاء الرسل ـ إلى فريقين: ففريقا كذبوا وفريقا قتلوا، وآخر من كذبوه هو محمد ﷺ؛ فإنهم كذبوه بعد أن جاءهم بالبينات حتى كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم استكبروا، ولم يقبلوا ما جاء به، بل عاهدوه ونقضوا العهد معه، وقاتلوا أصحابه، وما زالوا إلى يومنا هذا أعداء لأتباع محمد «ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون»، فبين الله - عز وجل ـ حال بني إسرائيل مع الرسل أنهم على هذين القسمين: إما أن يكذبوا وإما أن يقتلوا؛ فتكذيبهم تكذيب بالحق، وقتلهم قتل بغير حق؛ كما قال الله ـ تعالى ـ في آية أخرى: « ويقتلون التبين بغير حق ﴾ [آل عمران: ٢١]

فوائد وأحكام الآية الكريمة:
١ـ بيان ما من الله به على موسى ﷺ من إتيان الكتاب، وموسى عليه الصلاة والسلام ـ هو أفضل أنبياء بني إسرائيل، والتوراة هي أعظم الكتب المنزلة على بني إسرائيل؛ ولهذا يقرن الله ـ تعالى ـ بينها وبين القرآن أحيانًا؛ لأن القرآن أفضل الكتب المنزلة على الأنبياء، والتوراة أفضل الكتب المنزلة على بني إسرائيل.
٢ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات نبوة موسى ؛ لقوله: ولقد ءاتينا موسى الكتب » .
3ـ ومن فوائدها: أن الله - سبحانه وتعالى ـ لم يهمل الخلق بلا رسل؛ فإنه قفى من بعد موسى بالرسل تباعا؛ من أجل هداية الناس، وقد قال الله - تعالى -: ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ [فاطر: ٢٤]، فكل أمة خلا فيها نذير؛ لتقوم الحجة على العباد؛ فإن العباد إذا لم يأتهم رسل قد يكون لهم حجة على ربهم ـ عز وجل -، ولكنه ـ سبحانه وتعالى ـ منع هذا الاحتجاج بإرسال الرسل؛ كما قال ـ تعالى ـ: «رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيمًا﴾ [النساء: 165].

ع
٤ـ ومن الفوائد المستنبطة المأخوذة من هذه الآية: أن الله - عز وجل من بعد موسى بالرسل؛ من أجل أن تبقى آثار الرسالة في العباد.
هـ ومن فوائدها: إثبات نبوة عيسى ﷺ؛ حيث قال: ﴿وءاتينا

١٣٣٤١

أحكام من القرآن الكريم

عيسى ابن مريم البيست؟ .
جميع
6ـ ومن فوائدها: أن الله أعطى عيسى ابن مريم بينات من الأمر تبين رسالته، وأنه عبد الله ﷺ رسوله، والبينات هذه شاملة الرسل؛ فها من رسول إلا آتاه الله ما على مثله يؤمن البشر؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: « لقد أرسلنا رسلنا بالبينت* [الحديد: ٢٥]. ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان حكمة الله ـ عز وجل ؛ حيث إنه ـ جل وعلا ـ إذا أرسل الرسل جعل معهم بينات تشهد لهم بالصدق، وهذا من كال حكمته، وكمال رحمته أيضا؛ لأنه لو جاء رسول من الخلق دون

أن تكون معه آية تدل على صدقه؛ لم يقبل الناس منه، ولكن الله ـ تعالى ـ بحكمته ورحمته ـ جعل مع كل رسول آية تدل على صدقه، وأنه رسول الله حقا.
8 ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: منة الله على عبده ورسوله عيسى ابن مريم؛ حيث أيده بروح القدس جبريل ـ عليه السّلام ـ. ـ ومن فوائدها: بطلان دعوى النصارى بألوهية عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام -؛ لأنه أيد بروح القدس، ولو كان إلها لم يحتج إلى تأييد أحد، ولكنه عبد الله ورسوله؛ كما قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام -: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ﷺ رسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم

سورة البقرة

وروح منه...»(1)، وقد تبرأ عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من دعوى من ادعى أنه إله معبود مستحق للعبادة في قوله ﷺ حين يسأله الله يوم القيامة: (وإذ قال الله ينعيسى ابن مريم ،أنت قلت للناس الجذونى وأتى إلهين من دون الله قال سبحسك ما يكون لي أن أقول ما ليس لى بحقي إن كنت قلته، فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علم الغيوب و ما قلت لهم إلا ما أمرتني به، أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

ع

ع

١٠- ومن فوائد هذه الآية: إثبات الملك الكريم جبريل - عليه الصلاة والسلام ـ الذي وصفه الله بأنه روح القدس في هذه الآية وفي غيرها؛ قال الله ـ تعالى ـ: * فل نزله روح القدس من ربك بالحق *

٣٣٥

-

(1)

[النحل: ١٠٢]
١١- .ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان أن بني إسرائيل لا يقبلون ما جاءت به الرسل، بل كلما

جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ـ أي: با لا يعتقدون أنه حق ـ استكبروا. ١٢- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن بني إسرائيل انقسموا في

رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله ـ تعالى ـ: «يتأهل الكتب لا تغلوا في دينكم»، رقم (٣٤٣٥)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب من لقي ربه بالإيمان ـ وهو غير شاك فيه ـ دخل الجنة، رقم (٢٨).

١٣٣٦

أحكام من القرآن الكريم

جانب الرسل إلى قسمين: فريق كذبوا الرسل، وفريق قتلوهم؛ لقوله:
«ففريقا كذبتم وفريقا تقتلوت ؟.

ثم قال الله - تعالى -: (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم
فقليلا ما يؤمنون = * .

٨٨

التحدث
وقالوا الضمير يعود على بني إسرائيل؛ لأن هذه الآيات كلها في عنهم، «قلوبنا غلف»؛ أي: مغلفة لا يصل إليها ما جاء به محمد ﷺ من الحق، فبين الله - عز وجل ـ بطلان دعواهم هذه في قوله: بل لعنهم الله بكفرهم »؛ أي: أن الله طردهم وأبعدهم عن رحمته بكفرهم، فران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، وإذا ران على القلب عمل العبد؛ فإنه لن يصل إليه الخير، يطبع على قلبه فلا يصل إليه الخير، فيظن أن قلبه لم يخلق منفتحا لهذا الخير، ويدعي أن قلبه أغلف، ثم قال ـ تعالى ـ: «فقليلا ما يؤمنون»؛ أي: أن إيمانهم قليل؛
بسبب لعنة الله لهم بكفرهم.
فوائد وأحكام الآية الكريمة:
1ـ أن بني إسرائيل يدعون ما ليس بحق حينا يدعوهم النبي - عليه الصلاة والسلام ـ أو غيره من أنبيائهم فيقولون: إن قلوبهم غلف؛ يعني: مغلفة لا يصل إليها ما دعوتم إليه، ووجه إبطال هذا قوله: «بل لعنهم الله بكفرهم »؛ أي: بل ليس الأمر ما يدعون، وإنا

الأمر أنهم كفروا؛ فلعنهم الله فلا يصل إلى قلوبهم الخير. ٢ـ ومن فوائد الآية الكريمة: بيان عقوبة الله لهؤلاء باللعنة؛ وهي الطرد والإبعاد عن رحمة الله.
٣ـ ومن فوائدها: إثبات الأسباب؛ لقوله: «بكفرهم؛ فإن الباء -
هنا ـ للسببية.
٤ـ ومن فوائدها: أن الكفر ـ والعياذ بالله ـ يوجب انطاس القلب، والطبع عليه؛ بحيث لا يصل إليه الخير؛ لقوله: «بل لعنهم الله بكفرهم .

هـ ومن فوائدها: أن بني إسرائيل يقل فيهم الإيمان، والقلة هنا إما أن يكون المراد بها العدم، لقوله: «فقليلا ما يؤمنون»، وإما أن يراد بها أنه قد ترد على قلوبهم أحيانا واردات يكون فيها شيء من الإيان،

ع
ولكنه شيء قليل لا يصل إلى إزالة الكفر عن هذه القلوب. ثم قال الله - تعالى -: «ولما جاءهم كتب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكفرين (. قول الله ـ عز وجل -: «ولما جاءهم كتب من عند الله * المراد به القرآن؛ فهو من عند الله؛ لأن الله ـ تعالى ـ تكلم به وتلقاه جبريل، ثم نزل به على قلب النبي ﷺ مصدق لما معهم»؛ أي: أن هذا القرآن مصدق ما معهم من الكتب؛ وتصديق القرآن لما معهم من الكتب على

أحكام من القرآن الكريم

وجهين: الوجه الأول: أن حكم بصدق هذه الكتب السابقة، وأوجب على الناس أن يؤمنوا بها؛ وهذا يعني أنه قال: إنا صادقة. والوجه الثاني من التصديق: أن الكتب السابقة أخبرت به؛ فجاء مصدقا لما أخبرت به مطابقا له، وكلا الوجهين حق، لما جاء هم هذا الكتاب من عند الله مصدقا لما معهم. وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا »؛ يعني: أن هؤلاء اليهود كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفرا؛ أي: يستنصرون عليهم بالرسول الذي

وعدوا به، وكانوا يقولون: إنه سيبعث نبي، وسنكون من أتباعه، وسننتصر عليكم، يقولون ذلك للكافرين، فلما جاءهم ما عرفوا»؛ أي: جاءهم ما عرفوا أنه الحق، وأنه الرسول الذي كانوا ينتظرونه؛ «كفروا به، » لم يقبلوا ما جاء به؛ «فلعنة الله على الكفرين »؛ يعني: أن هؤلاء لما كفروا بالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي عرفوه كما يعرفون أبناءهم استحقوا اللعنة من الله ـ عز وجل ؛ وهي الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وهنا قال فلعنة الله على الكفرين »، ولم يقل: «فلعنة الله عليهم»، والإظهار في موضع الإضمار له فوائد؛ منها: الحكم على مرجع الضمير بهذا الوصف الظاهر الذي حل محل الضمير، ومنها: إرادة التعميم فمثلاً لو قال: «فلعنة الله عليهم» لم تشمل غيرهم، ولكن إذا قال: «على الكافرين» شملتهم وشملت غيرهم من الكفار، ثم لو قال: «فلعنة الله عليهم» لم

ج

سورة البقرة

١٣٣٩

يتبين أنهم كفار بهذا الكفر، ولكنه قال: «فلعنة الله على الكفرين »؛
ليحقق بذلك اتصافهم بالكفر.
فوائد هذه الآية الكريمة:

1ـ أن بني إسرائيل قد امتد طغيانهم وعتوهم وتكذيبهم للأنبياء حتى آخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ
٢ـ ومن فوائدها: أن القرآن الذي جاء به محمد من عند الله ليس منقولا عليه.
3ـ ومن فوائدها: إثبات كلام الله - عز وجل ؛ لأن القرآن كلام بلا شك، فإذا كان من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ دل هذا على أنه كلامه، وهذا هو ما يذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن القرآن كلام

الله، حروفه ومعانيه، وأنه منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. ٤ـ. ومن فوائدها: الثناء على كتاب الله - عز وجل ـ القرآن؛ لكونه
مصدقا لما سبقه من الكتب؛ لقوله ـ تعالى ـ: «مصدق لما معهم؟. هـ ومن فوائدها: أن الحجة على بني إسرائيل كانت معهم، وبين أيديهم؛ فكتبهم كلها ناطقة متحدثة عن هذا القرآن الكريم، مصدقة له، مخبرة به، ومع ذلك كفروا به عتوا وطغيانًا.

9

6ـ ومن فوائدها: بيان الحسد العظيم في بني إسرائيل؛ حيث كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفرا ظنًا منهم أن النبي الذي تحدثت عنه كتبهم سيكون من بني إسـرائـيـل؛ فلما تبين أنه من بني إسماعيل

٣٤٠

أحكام من القرآن الكريم

كفروا به؛ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: «ود كثير من أهل الكتب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [البقرة: 109].

ـ ومن فوائدها: أن بني إسرائيل كفروا عن عناد وبيان؛ لقوله: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به .
ج

٨ـ ومن فوائدها: أن الكفر عن معرفة أشد من الكفر عـن جهـل؛ لقوله: «فلما جاءهم ما عرفوا»، ولم يقل: «فلما جاءهم الرسـول»، أو «جاءهم صاحب هذا الكتـاب»، أو مـا أشبه ذلك؛ بـل قـال: «فلما جاءهم ما عرفوا »؛ بيانًا لشناعة ما حصل منهم .
ـ ومن فوائدها: أن بني إسرائيل لما كفروا استحقوا اللعنـة التي أوجبها الله - سبحانه وتعالى ـ على كل كافر؛ أي: أن لعنة الله حاقة عـلى كل كافر؛ ولهذا قال: «قلعنة الله على الكفرين ؟ .

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: «بسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله، على من يشاء من عباده، فباءو بغضب على غضب وللكنفرين عذاب مهين - .
ع
يقول الله - سبحانه وتعالى ـ مبينـا قـبـح مـا ذهـبـوا إلـيـه؛ لكـونهم اختاروا لأنفسهم الكفر بما أنزل الله؛ حسدا وبغيا منهم أن ينزل الله من

سـورة البقـرة

= ١٣٤١

ج

فضله على من يشاء من عباده؛ فإنهم حسدوا العرب حينا جاء النبي منهم، واختاروا لأنفسهم الكفر على الإيمان، قال الله ـ تعالى -: قباء وبغضب على غضب»؛ أي: أنهم أتوا بغضب على غضب، وهذا لا يعني أنهم باءوا بغضبين فقط، بل بأكثر؛ فهم استحقوا غضب الله ـ عز وجل ـ بعبادة العجل في زمن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وبتكذيب عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وبتكذيب محمد ﷺ؛ فهم باءوا بغضب على غضب؛ أي: رجعوا به ـ والعياذ بالله ـ والغضب الذي رجعوا به هو غضب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ثم قال: « وللكفرين عذاب مهين »، وهذه عامة وأول من يدخلها هؤلاء الذين كفروا بمحمد ﷺ؛ لأنهم اختاروا لأنفسهم الكفر، وإنا قال: «عذاب مهين *؛ لأنهم كفروا استكبارا وتعاظها وعلوا؛ فكان جزاؤهم هذا العذاب الذي يهينهم ويلحقهم
الذل والهوان.

فوائد وأحكام الآية الكريمة:
ا- بيان قبح ما اختاره هؤلاء المكذبون لرسول الله ﷺ من بني إسرائيل؛ لقوله: «بنسما اشتروا به أنفسهم ؟.

٢- ومن فوائدها: إثبات أن ما جاء به محمد ﷺ من عند الله؛ لقوله:
وبما أنزل الله ؟.
3- ومن فوائدها: أن الذي حملهم على ذلك هو البغي والعدوان،

١٣٤٢ -

أحكام من القرآن الكريم

٤-
وهذا من طبيعة بني إسرائيل، أنهم بغاة عتاة متمردون على الحق. ومن فوائدها: بيان أن العلم الذي يهبه الله ـ تعالى ـ للشخص في شريعة الله من فضله، بل هو أعظم فضل يمن الله به على العبد بعد هدايته لدينه أن يرزقه الله ـ تعالى ـ العلم، والعلم أفضل من المال؛ لما فيه من النفع الكثير الواسع؛ وقد جاءت آيات كثيرة، بل وأحاديث كثيرة تدل على بيان فضل العلم، وأنه أعظم نعمة من الله بها على العبد. 5- ومن فوائدها: إثبات المشيئة الله؛ لقوله ـ تعالى -: على من
يشاء ،
ومشيئة الله ـ تعالى ـ عامة، عامة في كل شيء، فيما يفعله هو بنفسه، وفيها يفعله العباد.

6- ومن فوائدها: أن هؤلاء الذين اختاروا لأنفسهم الكفر بمحمد قد باءوا بغضب على غضب؛ أي: تراكم عليهم الغضب من الله ـ عز وجل ـ، وهذا يدل على أن الغضب إذا تكرر كان أعظم قبحا مما إذا كان غير متكرر.

-

ومن فوائدها: إثبات العذاب للكافرين، وأنه عذاب مهين يلحقهم بالذل والهوان؛ لقوله ـ تعالى : وللكفرين عذاب شهير بد ؟.

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: (وإذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه، وهو الحق

ورة البق

١٣٤٣

مصدقا لما معهم فل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتُم
مؤمنين *.
وإذا قيل لهم »؛ أي: لبني إسرائيل الموجودين في عهد الرسول امنوا بما أنزل الله ، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد كا
ﷺ لم يقبلوا هذا القول، بل يردونه بقولهم: «نؤمن بما أنزل علينا ← من الكتب التي نزلت عليهم كالتوراة على اليهود، والإنجيل على و
النصارى، «ويكفرون بما وراءه »؛ أي: بما سواه، وهو الحق»؛ يعني: أن الذي كفروا به هو الحق «مصدقا لما معهم ، والحق هو الشيء الثابت، وضده الباطل الزائل. وقوله: «مصدقا لما معهم »؛ أي: أن القرآن الكريم صدق ما معهم من كتب، وكان تصديقه لها على وجهين: الوجه الأول: أنه بين أنها كتب مشتملة على الصدق، والوجه الثاني: أنه صدقها؛ حيث كانت تتحدث عنه، وتبينه، وأنه سيكون فكان؛ يقول الله ـ عز وجل ـ: «وهو الحق مصدقا لما معهم »؛ أي: قل لهم يا محمد: «فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين »؛ أي: إذا كنتم تدعون أنكم تؤمنون با أنزل عليكم، فلم تقتلون أنبياء الله الذين جاءوا بالوحي من الله؟ وهل هذا إلا كذب منكم وعدوان واستكبار على الحق؟! ولو كنتم مؤمنين حقا ما قتلتم الأنبياء الذين جاءوا منكم، وأتوا بالكتب منزلة
عليكم.

أحكام من القرآن الكريم

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١- بيان تعصب اليهود والنصارى لما هم عليه من الطريق، ولو كانت طريقا خاطئة؛ لأن رسالتي اليهود والنصارى نسختا بمجيء وصارتا غير مقبولتين عند الله؛ لقوله - تعالى -: * إنّ الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران: 19]. وقوله: « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [آل عمران: ٨٥].
محمد

٢- ومن فوائدها: التحذير من التعصب لما مع الإنسان إذا كان باطلاً؛ لأن الله ذكر هذا عن بني إسرائيل؛ تحذيرا من طريقتهم. 3ـ ومن فوائدها: أن هؤلاء ـ أعني: بني إسرائيل ـ إذا عرض عليهم الحق ردوه، وتعصبوا للباطل الذي هم عليه، وكفروا با سواه؛ لقوله: «ويكفرون بما وراءه. *.

٤ـ ومن فوائدها: أنهم ـ أعني بني إسرائيل - يردون الحق المصدق لما معهم، وكان الذي يجب عليهم ـ عقلا وشرعا ـ أن يقبلوا الحق، ولا سيا أنه مصدق لما معهم، ومبين أنه الحق؛ لقوله: «وهو الحق مصدقاً لما معهم »
لـے

5ـ ومن فوائدها: إقامة الحجة على كذب هؤلاء، الذين يدعون أنهم يؤمنون بها أنزل إليهم؛ لأنهم كانوا يقتلون الأنبياء، ولو كانوا صادقين في الإيمان بما أنزل إليهم ما قتلوا الأنبياء. 6ـ ومن فوائدها: أنه ينبغي عند المحاجة أن يذكر المحاج ما يفحم

سورة البقرة

١٣٤٥

به الخصم، ويبين كذبه، وبطلان دعواه؛ لقوله: «قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين *.

ـ ومن فوائدها: بيان أن بني إسرائيل لا يقبلون الحق من كل من جاء به، ولكن إذا جاءهم ما تهوى أنفسهم سكتوا، وإذا جاء هم ما لا تهوى أنفسهم قتلوا أو يكذبون ويصرحون بالتكذيب إذا لم يبلغوا إلى حد القتل كما سبق في آية قبل هذه.

*

ولقد جاءكم موسى بالبينت ثم اتخذتم
العجل من بعده ، وأنتم ظلمون) [البقرة: ٩٢]. و في هذه الآية يخاطب الله بني إسرائيل موبخا لهم على ما حصل منهم؛ حيث إن موسى عليه السلام جاءهم بالآيات البينات الدالة على رسالته، وصدق دعوته، ومع ذلك اتخذوا العجل من بعده إلها وهم ظالمون؛ أي: ظالمون لأنفسهم بهذا الاتخاذ

وسبب
ذلك أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام - وعده الله سبحانه وتعالى ـ ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر؛ فبقي غائبا عن قومه أربعين ليلة، وكان قد خلف عليهم هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلا تأخر عن الثلاثين؛ فتنوا با صنعه السامري من العجل المكون من الذهب الذي استعاروه، وقال لهم: إن هذا هو إلهكم وإله موسى؛ فعبدوا العجل وهم يعلمون أنه من صنعهم، وأنهم هم الذين صنعوه

أحكام من القرآن الكريم

وأحدثوه، ومع ذلك اتخذوه إلها، وقد نصحهم هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولكنهم قالوا لن نبرح عليه عنكفين حتى يرجع إلينا
موسى
[طه: 91]، وهذا ـ لا شك ـ دليل على سفههم، وعتوهم، وطغيانهم، أن يتخذوا إلها على صورة العجل، هم الذين صنعوه بأنفسهم وهو من جملة القبائح التي هم عليها. فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

ا- في هذه الآية بيان واحد من أمور كثيرة تدل على عتو بني إسرائيل، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم.

٢- وفيها ـ أيضا ـ من الفوائد: المناداة إلى سفه هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلها؛ فعبدوه مع أنه لا يرجع إليهم قـولا، ولا يملـك لهـم ضرا

ولا نفعا.
3- ومن فوائد هذه الآية: أنهم اتخذوا العجل على حال ظلم؛ لأنهم يعلمون أن هذا العجل هم الذين صنعوه، وأنـه لـيس إلهـا، ولكـنهم - والعياذ بالله ـ تعنتوا هذا التعنت، ونصحهم هارون، ولكنهم لم يقبلـوا هذا النصح.

ﻫ
ثم قال الله - تعالى -: (وإذ أخذنا ميثكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيتكم بقوة وأسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بنسما يأمركم به
ع

سـورة البقـرة

١٣٤٧

إيمنكم إن كنتم مؤمنين * * [البقرة: 93].
هذه الآية خطاب لبني إسرائيل في عهد الرسـول و، ولكنهم لما كانوا أمة واحدة مع من سبقهم صح أن يوجه الخطاب إليهم بالشناعة عليهم بفعـل غـيرهم، فقال: «وإذ أخذنا ميثقكم »؛ أي: العهـد الثقيل الموثق، ورفعنا فوقكم الصور »؛ وهو الجبل المعروف، رفعه الله عليهم؛ تخويفا وإنذارا حتى صار كالظلة فوق رءوسهم، وأمـرهم أن يأخذوا ما آتاهم بقوة؛ أي: أن يأخذوا الكتاب الذي أنزله الله إليهم ـ وهو التوراة ـ بقوة في تصديق أخباره، والعمل بأحكامه، وأمرهم أن يسمعوا، ولكنهم عتوا وقالوا: «سمعنا وعصينا * ، وكـان الـواجـب علـيهـم ـ وهـم عبـاد الله الـذيـن خلقـوا لعبادتـه ـ أن يقولـوا: سـمعنا وأطعنا، وكان هذا العصيان والتمرد نتيجة ـ والله أعلـم ـ لمـا أشرب في قلوبهم من حب العجل؛ فإن هذا العجل الذي صنعوه وعبـدوه تمكـن في قلوبهم حتى شربته؛ أي: شربت حبه؛ بسبب كفرهم بالله ـ عز وجل ؛ فهم لما عدلوا عن الحق عوقبوا بالإغراء بالكفر؛ لأن القلوب إمـا عـلى حق وإما على باطل، فإذا انتفى الحق ثبـت الباطـل؛ قال الله ـ ـ تعـالى ـ:

-

وقل بنسما يأمركم به، إيمنكم »؛ أي: بئس الأمر الذي يأمركم به إيانكم من عبادة العجل، والطغيان، والعتو إن كنتُم مؤمنين ، ومن المعلوم أن من عبد مع الله غيره؛ فليس بمؤمن ولو ادعى أنه مؤمن، ولكن هذه الصيغة التي جاءت في آخر الآية من باب

التحدي لهم؛ إذا كانوا مؤمنين فلماذا يعبدون العجل؟! هل الإيمان يأمر بعبادة غير الله؟! لا.

فوائد هذه الآية الكريمة:
١- من فوائدها: قدرة الله - عز وجل -؛ حيث نتق الجبل فوقهم كأنه ظلة، مع أن الجبل من الرواسي؛ فإن الجبال جعلها الله - تعالى - رواسي ثابتة في الأرض، ولكنه إذا أراد شيئا فإنها يقول له: كن فيكون. ٢- ومن فوائدها: بيان بلوغ الغاية في عنو بني إسرائيل؛ حيث إنهم قيل لهم: «خذوا ما اتيتكم بقوة ، ولكنهم قالوا: «سمعنا وعصينا *

٣- ومن فوائدها: أن السمع يطلق على الاستجابة والقبول؛ لقوله: واسمعوا ؛ أي: اقبلوا واستجيبوا، لكنهم قالوا: «سمعنا وعصيناه.

٤- ومن فوائدها: وجوب الأخذ بقوة فيها نزل على الإنسان من الله، وألا يقابل هذا الوحي بالكسل والضعف؛ يشهد لهذا قول النبي ﷺ : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله
وحي

وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»(١).
هـ- ومن فوائدها: أن الإنسان قد يبتلى بحب الباطل إذا أعرض عن

ج
الحق؛ لقوله ـ تعالى ـ: (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ؟. 6 ـ ومن فوائدها: إثبات الأسباب؛ لقوله: «بكفرهم »؛ فإن
الباء هنا للسببية.

ـ ومن فوائدها: التحذير من رد الحق، وأن الإنسان قد يبتلى إذا رد الحق بمحبة الباطل؛ حتى يبقى عليه، وقد حذر الله - سبحانه وتعالى من هذا بما ذكره في قوله ـ تعالى ـ: «ونقلب أفيدتهم وأبصرهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغينيهم يعمهون﴾ [الأنعام: 110]؛ فإن الإنسان إذا ردّ الحق، ولم يستجب له من أول الأمر قد يبتلى بأن يقلب الله ـ تعالى ـ قلبه وبصره؛ حتى يكون في أمر مريج.

هـ ومن فوائدها: تقبيح ما ذهب إليه هؤلاء من محبة العجل وعصيانهم، وكفرهم؛ لقوله: «قل بنسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنيت .

ـ ومن فوائدها: أنه ينبغي عند المحاجة أن يسلك المحاج ما فيه التحدي لخصمه؛ حتى يتبين قدرته على المدافعة؛ لأن مقام المتحدي أعلى وأقوى من مقام المتحدى، وقد جاء في القرآن الكريم كثير من هذا

(1) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز...، رقم (٢٦٦٤)